

زكريا

الفرمجة

رجع خليل السامر الى غرفته ، بحني الظهر ، متعب القدمين . واستلقى على فراشه ، وارتجف مقروراً وحيداً ، ثم استسلم للنوم بينما كانت للريح خارج الغرفة اصوات ذئبية هرمة جائعة .

وتحولت الريح بعد حين الى يد مرتعشة الاصابع ، وفتحت باب الغرفة ، لتدلف الى الداخل ملكة سوداء الشعر ، لقامتها كبرياء الرمح الغاضب . وامرت ان يعذب خليل السامر حتى الموت ، فتعالت على الفور اصوات مبجوحة تردد :

« سنعذبه » . « سنضع ملحاً في عينيه » . « سنشوي لحمه » . « سنسحق عظامه » . وارتعد خليل السامر مذعوراً ، ثم تحول ذعره الى دهشة عارمة حين ابصر الملكة السوداء الشعر تجثو على ركبتيها فجأة ، وتصيح متوسلة : « اهرب اهرب » . فقال خليل السامر متسائلاً : « الى اين اهرب ؟ »

فبدا على وجه الملكة الم طاع ، وتهاتوت على الأرض ميتة ثم تحولت الى فراشة واختفت في فراغ اسود .

وظل خليل السامر ينتحب دوغاً دموع حتى افاق من نومه ذات صباح . وخيل اليه وهو يتمطى متثائباً انه نام مائة سنة وان معدته حقيبة فارغة عتيقة . فبادر الى مغادرة البيت ، وكان للبيت باب من خشب ، صفقه خلفه بشدة ، وسار في شارع له رصيفان ، ترين عليه السكينة . ولم يقابل اثناء سيره لا رجلاً ولا طفلاً ولا امرأة . وكانت البيوت مقفلة الابواب . ولم يشاهد وجهاً ما خلف زجاج النوافذ ، ولا امرأة تقف على شرفة . وكانت الارصفة مغطاة بطبقة من اوراق الأشجار الصفراء ، والسيارات تقف بمحاذاة الارصفة مهملة يجللها الغبار .

وواظب خليل السامر على السير بخطى مرتبكة متباطئة حتى بلغ احد المطاعم . وحين هم بالدخول اليه ، بوغت برؤية جرد ضخم الحجم يتمطي دراجة . فابتسم ، وتطلع بدهشة الى السماء الزرقاء الصافية ، ثم دلف الى داخل المطعم . وهناك شاهد العديد من

الجرذان ، وكانت كلها ضخمة الحجم ، تجلس خلف مناخذ خشبية ، تتناول طعامها بمركات رصينة .

واختار خليل السامر منضدة منزوية ، وجلس خلفها يغمره الحجل والارتباك ، وثبت نظراته على الغطاء الوسخ ، واخذ يحصي البقع المتناثرة عليه ، فالفأهاست بقع . وبعد قليل جاء الغرسون ، وكان جرذاً ضخماً ، يرتدي بزة سوداء وقيصاً ناصع البياض ذا ياقة منشأة . تأمل الغرسون خليل السامر بنظرات مفعمة بالدهشة ، ثم حنى رأسه ، وأطلق من فيه صوتاً خشناً ممطوطاً ابج شبيهاً بنباح كلب موشك على الموت . فقال خليل السامر :

« اريد كوب حليب ورغيفين وقطعة جبن وقليل من الزبد » .

فحنى الغرسون رأسه ثانية ، ومشى مبتعداً عن المنضدة . وانحس خليل السامر عينيه ، وحاول ان يتخيل طفلاً اشقر الشعر ، يضحك بعدوبة ، فلم ينجح ، وحاول ان يتخيل شجرة خضراء وعصفوراً صغيراً وامرأة سوداء الشعر ، ففشل ثانية ، وعضّ بأسنانه على شفته السفلى . وعاد في تلك اللحظة الغرسون ، ووضع على سطح المنضدة صحناً فيه قطعة لحم نيئة . فاستاء خليل السامر ، وقال بصوت حائق مرتفع :

« ما هذا ؟ انا طلبت كوب حليب » .

فقاطعه الغرسون بصرخة نزقة ، وتابع خليل السامر قائلاً :

« طلبت كوب حليب ورغيفين وقطعة جبن وقليل من الزبد ، لا لحمًا نيئاً » .

فنبج الغرسون ، ونبحت الجرذان الضخمة الحجم الجالسة وراء المناضد المجاورة . وكان النباح قهقهة طويلة هازئة . فغضب خليل السامر اشد الغضب ، وحاول ان يتكلم محتجاً ، فضاعت الكلمات واختفت ، ولم ينبعث من فيه سوى نباح متقطع اجش . فاغض عينيه لحظة ، وحينئذ ابصر ملكة سوداء الشعر تسقط ميتة ، ولم تتحول بعد لحظة الى فراشة انما ظلت ملقاة على الأرض جثة صفراء .

وفتح خليل السامر عينيه بثناقل لبصر امامه قطعة اللحم النيئة ، وقد بدت له بفتة شبيهة مغرية ، فامتدت اليها يده ، واطبقت عليها الاصابع مجرّص ، ورفعته الى فم مفتوح ، وابتدأت الاسنان المنخورة تحاول مضغها . وفي تلك اللحظة دخل الى المطعم جرذ انيق الثياب ، وكان يجر خلفه طفلاً اشقر الشعر ، يمشي على يديه ورجليه ، وتطوق عنقه سلسلة حديدية .